لفظ السيما

في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

نورة بنت صالح النفجان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

كلية التربية – قسم الدراسات الإسلامية

لفظة السيما في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

بحث مقدم في مقرر التفسير الموضوعي

إعداد الطالبة

نورة صالح النفجان

الرقم الجامعي

٤٤١٩٢٠٠١٤

اشراف

د. عبدالله بن محمد العسكر

أستاذ التفسير المشارك بجامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

الفصل الدراسي الثاني

العام الجامعي ١٤٤٢هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

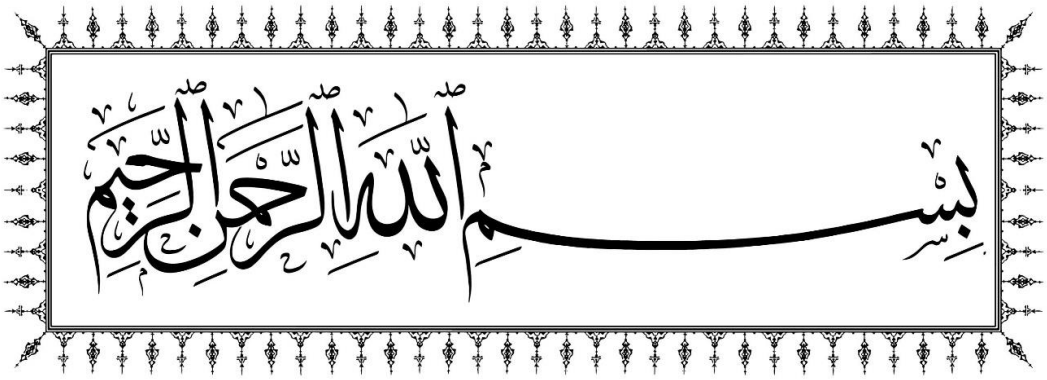
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي له الحمد كله، وله الفضل كله، والحمد لله الذي أنزل كتابه المبين هداية للعالمين، ونوراً للمؤمنين، فالسعيد من خَلْقِ الله من تعلم القرآن، وعمل به، فتتبع معانيه وتدبر رصانة نظمِه، ولم يرض لنفسه درجةً أقلَّ من الفهم العميق، فهناك ألفاظ قرآنية كثيراً ما ترددت على مسامعنا ولم نُحكِم النظر في معانيها ومن هذه الألفاظ لفظة السِّيْما، والتي هي بمعنى الصفة أو العلامة التي تلازم الشخص حتى يسمى بها أحياناً، ومن أصحاب هذه العلامة شقيٌ وسعيد فمن هذا المعنى تتبع الباحث لفظة السِّيْمَا في القرآن الكريم ومعاني هذه اللفظة، وتوضيح سبب السعادة والشقاء بالوسم بصفة أو علامة مخصوصة في تجلية مفهوم السيما أولاً، وما تضمنته من المعاني في المواضع المختلفة، ونسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. توضيح المنهج القرآني الرباني في إيراد لفظ السيما في القرآن الكريم.
٢. تتبع الدلالات اللغوية والشرعية للفظة السيما، وتوضيح اختلاف معناه باختلاف سياقه ولفظه وموضعه.
٣. تلمس الإلمحات الربانية في اللفظ والمعنى والدلالة، والوصول إلى الرشد الذي يجب أن يكون عليه المؤمن.
٤. تجلية المعاني الربانية الدقيقة والكشف عنها والامتثال لتوجيهها والاطمئنان لها.
٥. إبراز فائدة التفسير الموضوعي من خلال دراسة لفظة السيما بالوصول للمعنى الدقيق وربط هذه المعاني برباط جامع.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتبع لفظة السيما في القرآن الكريم والكشف والإبانة عن إختلاف معانيه ودلالاته بإختلاف موضعه وسياقه واستنباط مدلولات اللغة والشرع من هذا التتبع والاستقراء ليصبح منهجاً قويماً للمؤمن.

تساؤلات البحث:

١. ما المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح السيما في القرآن الكريم؟

٢. هل لمصطلح السيما دلالات لغوية وشرعية؟

٣. ما أثر تتبع واستقراء لفظ السيما في القرآن الكريم؟

٤. هل ساهم الجمع الموضوعي لمعاني السيما في القرآن الكريم في خدمة الواقع المعاصر ؟

٥. هل كان للتفسير الموضوعي أثر في تدبر القرآن الكريم ؟

أهداف البحث:

١. توضيح المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة السيما في القرآن الكريم .

٢. الكشف عن الدلالات اللغوية والشرعية للفظة السيما في القرآن الكريم .

٣. جمع الآيات الواردة في ألفاظ السيما واستنباط الفوائد والهدايات الشرعية والتربوية .

٤. خدمة الواقع المعاصر من خلال التفسير الموضوعي لمفهوم السيما .

٥. تدبر القرآن الكريم من خلال التفسير الموضوعي .

مصطلحات البحث: السِّيْما واشتقاقات اللفظ كما وردت في القرآن الكريم

ومعنى السيما: هي العلامة التي يعرف بها الخير من الشر [١]

حدود البحث:

الحدود الموضوعية :استقراء وتتبع لفظة السيما في القرآن الكريم وجمعها جمعاً موضوعياً.

الحدود الزمنية : الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٤٢هـ

الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث بحسب مبلغه من العلم وما اجتهد في طلبه من الوصول إلى دراسات سابقة في لفظة السيما والتفسير الموضوعي تحديداً.

(١) العين، للخليل الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال،٣٢١/٧

منهج البحث: الاستقرائي الاستنباطي الاستدلالي .

إجراءات البحث:

١. جمع الآيات آيات السيما في القرآن على سبيل الجمع والاستقصاء لا الحصر.

٢. تبع الدلالات اللغوية والشرعية للمصطلح من المصادر الأصلية.

٣. عزو الآيات برقم الآية واسم السورة في متن البحث.

٤. تخريج الأحاديث من مصدرها الأصلية فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بذلك وإن كان في غيرهما نجتهد بذكر درجته من كلام السلف وأئمة الحديث المعاصرين والإحالة إلى المصدر بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة.

٥. الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث.

٦. توثيق النقول والأقوال بالإحالة إلى مصادرها الأصلية.

٧. ضبط ما يمكن أن يلتبس على القارئ من الألفاظ بالشكل.

خطة البحث:

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

❖ **المقدمة**

❖ **التمهيد وفيه بيان أهمية اختيار لفظة السيما، وأثر تتبع المعنى الخاص للفظ.**

وفيه ثلاثة مطالب :

- **المطلب الأول**: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة السيما.
- **المطلب الثاني** : ألفاظ السيما في الاستعمال القرآني.
- **المطلب الثالث** : مصطلح السيما في القرآن الكريم بحسب المخاطب.

❖ **المبحث الأول**: الأساليب القرآنية في عرض لفظة السيما.

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: ألفاظ السيما في سياق المدح والثناء.

- **المطلب الثاني**: ألفاظ السيما في سياق الذم والإهانة.
- **المطلب الثالث**: ما ورد في القرآن بمعنى السيما مع اختلاف اللفظ.

❖ **المبحث الثاني**: دراسة ورود السيما سياق في المدح أوفي سياق الذم أسبابه وجزاؤه

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: أسباب ورود لفظ السيما في سياق المدح أو في سياق الذم.
- **المطلب الثاني**: الجزاء والعاقبة الواردة في حق الجنسين في الآيات.

❖ **المبحث الثالث**: أثر مفهوم السيما في مواضعه المختلفة ودلالاته في الدنيا والأخرة.

الخاتمة: وتشمل أبرز النتائج وأهم التوصيات.

التمهيد: وفيه بيان أهمية اختيار لفظة السيما في القرآن الكريم، وأثر تتبع معاني هذه اللفظة على الفرد المسلم.

من نعم الله علينا أن أرسل إلينا أفضل رسله فادخره لنا وادخرنا له، وأنزل عليه أفضل كتبه وأشملها وهو القرآن الكريم: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢

وقد ضَمَّن الله هذا الكتاب علم الأولين والآخرين حتى تتحقق فيه هذه الهيمنة التي أشار إليها القرآن ذاته بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨

فحوى القرآن الكريم فنوناً كثيرة وعلوماً متنوعة وأبرز هذه الفنون هي فن اللغة والفصاحة والبلاغة التي كان بها التحدي والإعجاز، ولها أصل في كتاب الله.

فاختار الباحث لفظة السيما، وأبرز معانيها المختلفة، ووضح كيف كانت براعة لغة القرآن في التعبير والوصف في كل مقام ومقال وكيف اختلفت فيها المعاني والمقاصد وكيف كانت بلاغة إيراد هذه الكلمة في المواضع المتنوعة، وكيف وردت في سياق المدح والثناء تارة، وما وجه الربط فيها بالثناء.

وكيف وردت في سياق الذم والإهانة تارةً أخرى، وما التوجيه لربطها بتلك الصفات المذمومة وكيف تفتقت من هذه الكلمة أبلغ وأعمق الأوصاف في كلا الجانبين مدحاً أو ذماً؛ التي يبصر معها المؤمن مراد ربه جل وعلا، ويدرك أن خالقه يميزه بأشرف الأوصاف والعلامات والسمات التي ينال بها المخلوق شرفاً وعلواً ولن يتحقق ذلك إلا بتدبر كلام الخالق -جل جلاله-بذكاءٍ وفطنةٍ وفراسة.

وسوف نسوق الآيات التي وردت في معنى السيما، والتي توضح مراد الله تعالى من وسم المؤمن أو وصفه بصفة بذاتها، وما هي الغاية من ذلك الوصف، لما يعود على قلب المؤمن بأن يكون أشدّ إيماناً وتثبيتاً، والبعد كل البعد لمن وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ ١٤٦ سورة الأعراف.

نسأل الله الهداية في الأمر الرشد فيه والحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة السيما

معنى السيما لغةً:

السَومة والسِّيمة والسِّيماء والسِّيمياء: العلامة وسوَّم الفرس: جعل عليه السيمة وقوله تعالى: ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ الذاريات: ٣٣-٣٤

قال الزجاج [١]: روي عن الحسن أنها معلمة ببياض وحمرة [٢].

والسيما: العلامة، مشتقةٌ من سام الذي هو مقلوب وسم، فأصلها وِسْمى، فوزنها عِفْلَى وهي في الصورة فِعْلَى، يدل لذلك قولهم سِمةٌ إن أصلها وِسْمةٌ، ويقولون سِيْمى بالقصر وسيمياء بالمد وسيمياءُ بزيادة ياء بعد الميم وبالمدِّ، ويقولون سَوّمَ إذا جعل سِمة.

وكأنهم قلبوا حروف المد لقصد التوصل إلى التخفيف بهذه الأوزان؛ لأن قلب عين الكلمة متأتٍ بخلاف قلب فائها. ولم يسمع من كلامهم فعل مجرد من تسوم المقلوب، وإنما سمع فعل مضاعف في قولهم سوم فرسه والسيما بالقصر: السمة أي العلامة.

السيما مقصور كالسيمة والسمياء ممدودين بكسرهن [٣].

قال: أبو بكر بن دريد [٤]: قولهم عليه سيما حسنة معناه علامة وهي مأخوذة من وسمت اسم والأصل في سيما وسمي، فحولت الواو موضع الفاء، فوضعت في موضع العين كما قالوا: ما أطيبه وأيطبه فصار سومي وجعلت الواو ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها [٥].

---

(١) إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي النحوي، أبو إسحاق كان من أهل العلم والأدب والدين له تآليف جمة منها: معاني القرآن. ت: ٣١١هـ. انظر: طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، دار المعارف، ص: ١١٢/١١١، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ت: إحسان عباس، ط: ١، دار صادر، بيروت، ٤٩/١-٥٠.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ط: ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ص: ٣١٢/١٢.

(٣) مختار الصحاح، لزين الدين الحنفي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: ٥، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ، ١٥٨/١.

(٤) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب له مؤلفات منها: الجمهرة، ت: ٣٢١هـ، انظر: إرشاد الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط: ١، دار الغرب، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٥) لسان العرب، فصل السين المهملة، ٣١٢/١٢.

قال السمين [١]: فوزن سِيما عِفلا وإذا مدت فالهمزة فيها منقلبة عن حرف زائدٍ للإلحاق إما واو أو ياء، فهي كعلباء ملحقة بسرداح فالهمزة للإلحاق لا للتأنيث وهي منصرفة لذلك [٢]. فإذا مدوه قالوا السيمياء.

وقيل الخيل المسومة: التي عليها السيما والسومة وهي العلامة [٣].

وقال ابن الأعرابي [٤]: السِّيَمُ والعلامات على صوف الغنم. قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٥] آل عمران: ١٢٥.

قال الأخفش [٦]: يكون معلمين ويكون مرسلين [٧].

وفي الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ فُرْساناً مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ مُسَوَّمِينَ» أَيْ مُعَلَّمِين.[٨]

---

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين، مفسر عالم بالعربية والقراءات، وله مؤلفات منها: الدر المصون، ت: ٧٥٦هـ. انظر: حسن المحاضرة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط: ١، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٨٧هـ، ص: ٥٣٦/١، ومعجم المفسرين، لعادل نويهض، ط: ٣، مؤسسة نويهض الثقافية، ١٤٠٩هـ، ٨٤/١.

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ٦١/٥.

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدا لسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة (سوم)، ١٨٨/٣.

(٤) محمد بن زياد الأعرابي، أبو عبد الله، ناسباً نحوياً كثير السماع، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب النوادر، ت: ٢٣١هـ. انظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة، لجمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط: ١، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٧٣/٣، ووفيات الأعيان، ٣٠٨/٤.

(٥) لسان العرب، فصل السين المهملة، ٣١٢/١٢.

(٦) سعيد بن مسعدة المجاشي، أبو الحسن الأخفش، وكان نحوي، لغوي، أديب، له مؤلفات منها تفسير معاني القرآن، ت: ٢١٥هـ. انظر: طبقات النحويين واللغويين، ٢٣/٧٢.

(٧) لسان العرب، ٣١٢/١٢.

(٨) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط،٦٦٣/٨٨/٨، المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسينين، دار الحرمين – القاهرة. وقال فيه: (لا يروى هذا الحديث عن غالب بن أبجر إلا بهذا الإسناد، تفرد به: قتيبة)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عنه: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ٤٩/١٠. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ط:١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، دار النشر: دار المعارف، الرياض –المملكة العربية السعودية.٨١٩/١٢.

وفي الحديث: أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ بدْرٍ: تسوموا فَإِن الْمَلَائِكَة تسومت [١].

أي: اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضاً وفي حديث الخوارج: سِيمَاهُم التَّحالُق[٢].

أي: علامتهم. وهي العلامة يعرف بها الخير والشر.

قال: وفيه لغة أخرى السيماء بالمد قال الراجز [٣]:

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعاً ... له سيماء لا تشق على البصـــــــر.

كأن الثريا علقت في نحـــره ... وفي جيده الشعرى وفي وجهه القمر[٤].

له سيمياء لا تَشُقُّ على البصر. أي: يفرحُ به من ينظر إليه وما عليه من حسن القبول [٥].

وأنشد شمر [٦]: في باب السيما مقصورة:

ولهم سِيمَا إذا تُبصِرهُم ... بَيّنَت رِيبةَ من كان سَأَلْ [٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط:١، مكتبة الرشد – الرياض،١٤٠٩هـ، ٣٦٦٦٨/٣٥٤/٧. وفي الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة – الرياض، ٤٠١/١. وقال فيه: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير عن عمير بن إسحاق مرسلا.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم،١٠٦٤/٧٤٥/٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وأخرجه البخاري في الصحيح، بلفظ: (سيماهم التحليق)، كتاب: التوحيد، باب: قراءة الفاجر،٧٥٦٢/١٦٧/٩. ١٩. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط :١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

(٣) هو أُسَيْد ابن عنقاء الفزاري يمدح عمليه وقد شاطره ماله لما رآه معوزاً. انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: ١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م، ١١٢/١٣.

(٤) البيت من الطويل أوله: رآني على مابي عملية فاشتكى ... إلى ماله حالي أسد كما جهر، انظر: عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ٣٧/٤، المخصص، لابن سيدة، تحقيق: خليل إبراهيم، ط:١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٦/١٦.

(٥) انظر: شرح ديوان الحماسة، لأبو علي الاصفهاني، تحقيق: تحرير الشيخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ. ص: ١١١١/١

(٦) شمر بن حمدويه الهروي اللغوي، أبو عمرو، نحوياً لغوياً راوية للأخبار والأشعار، ألف كتابا كبيرا في اللغات أسسه على حروف المعجم، ت: ٢٥٥هـ، انظر: إرشاد الأريب، ١٤٢٠/٢، إنباه الرواة، ٧٧/٢.

(٧) البيت من الرمل وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ص: ٩٥، وتهذيب اللغة، باب السين والميم، ٧٦/١٣.

والوسام والسمة بكسرهما: ما وسم به الحيوان من ضروب الصور والميسم بكسر الميم المكواة [١].

وتوسم الشيء: تخيله وتفرَّسه [٢] إذا تبين فيه الخير. وأصله: إذا علم حقيقته بسيمته ويقال: توسمه: إذا نظره من قرنه إلى قدمه واستقصى وجوه معرفته [٣].

والسمة: الأثر والسمة: الأثر في الوجه [٤] وسميت السمة سمة لأنها أثر في الموضع [٥].

السومَةُ، بالضم: العَلامة تُجعَل على الشاة، وفي الحرب أيضاً.

والخيلُ المسَوَّمَةُ: المرْعِيَّةُ. والمسَوَّمَةَ: المعْلَمة.

من قولك: سَوَّمَ فيه الخيلَ، أي أرسلها. ومنه السائِمَةُ. وإنَّما جاء بالياء والنون لأنّ الخيل سُوِّمَتْ وعليها رُكبانها. وهو المالُ الراعي يقال: سامَت الماشيةُ تَسومُ سَوْماً، أي رَعَتْ فهي سائِمَةٌ. وأَسَمْتُها إذا أخرجتَها إلى الرَعْيِ. قال تعالى: ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ النحل: ١٠

ويقال: سَوَّمْتُ الرجلَ، إذا خلَّيتَه وسَوْمَهُ، أي وما يريد .[٦]

الفرق بين العلامة والأثر:

أن أثر الشيء يكون بعده وعلامته تكون قبله.

تقول: الغيوم والرياح علامات المطر ومدافع السيول آثار المطر[٧].

الفرق بين العلامة والسمة:

أن السمة ضرب من العلامات مخصوص وهو ما يكون بالنار في جسد الحيوان مثل قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ القلم: ١٦

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيدة، ط:١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، ٦٢٨/٨.

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط:٨، بيروت، ١٤٢٦هـ، ص: ١١٦٧.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ٣٦/٤٦.

(٤) المخصص، ٩٩/٤.

(٥) الإبانة في اللغة، سلمة بن مسلم، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة وجماعة، ط:١، وزارة التراث القومي، مسقط، ٢١٨/٣.

(٦) الصحاح تاج اللغة، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط:٤، دار العلم، مادة (سوم)،١٩٥٦/٥.

(٧) الفروق اللغوية للعسكري، تحقيق: الشيخ/ بيت الله بيات، ط:١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ، ص: ٧١.

وأصلها التأثير في الشيء ومنه الوسمي لأنه يؤثر في الأرض أثراً [1].

المعنى الاصطلاحي للسيما: السيما هي العلامة [2]، ووسم الشيء كواه وأثر فيه بعلامة [3].

تعريف مقترح: نوع من العلامات مخصوص له أثر مخصوص يعرف بها نوع العلامة والمعلَّم بها معنوية كانت العلامة أو حسية.

وبما أن معنى سيما في الأصل هو العلامة والهيأة، وهو ما تم توضيحه في المعني اللغوي، فنستطيع القول أن السيما هي العلامة، سواءً كانت في الوجه أم في مكان آخر، وإن كان المعني العرفي لها يشير إلى الوجه، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ الفتح: ٢٩.

المطلب الثاني : ألفاظ السيما في الاستعمال القرآني

وردت لفظة السيما ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، في أحد عشرة سورة، سبع سور مكية، وأربع سور مدنية، بتصريفات متنوعة:

١. صيغة فعلى كما في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ البقرة:٢٧٣. وقوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ محمد: ٣٠، وقوله : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ الفتح: ٢٩.

٢. صيغة اسم الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر: ٧٥.

٣. صيغة اسم المفعول كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ آل عمران:١٤. وقوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: ١٢٥، وقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود: ٨٣، وقوله : ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ الذاريات: ٣٤.

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٧١

(٢) الكليات في معجم المصطلحات، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت،٥١٩/١.

(٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق،٣٧٩/١.

٤. صيغة الفعل المضارع كما في قوله تعالى: كما في قوله تعالى:﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ البقرة: ٤٩، الأعراف: ١٤١، إبراهيم: ٦، وقوله تعالى:﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ النحل: ١٠، وقوله: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ القلم: ١٦.

المطلب الثالث : لفظة السيما في القرآن بحسب المخاطب

لقد عبر القرآن الكريم بهذا اللفظ عن الملائكة والعاقل وغير العاقل وكذلك عبر عنها لما خلق الله مخلوقاته سبحاته وتعالى علواً كبيراً.

١. لقد عبر القرآن بلفظ السيما عن العاقل من الثقلين في قوله تعالى ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ البقرة: ٢٧٣. وقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَاهُمْ﴾ الأعراف: ٤٦، وقوله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الأعراف: ٤٨، وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر: ٧٥، وقوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ محمد: ٣٠وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ الفتح: ٢٩، وقوله: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ الرحمن: ٤١، وقوله: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ القلم: ١٦.

٢. كذلك عبر القرآن بلفظة السيما عن الملائكة في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: ١٢٥.

٣. وعبر القرآن بلفظة السيما لغير العاقل من الحيوان وغيره في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ آل عمران: ١٤، وقوله: ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ النحل: ١٠ .

٤. وعبر القرآن بلفظة السيما للجماد في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود: ٨٢-٨٣، وقوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ الذاريات: ٣٣-٣٤.

المبحث الأول: الأساليب القرآنية في عرض مصطلح السيما

المطلب الأول: ورود مصطلح السيما في سياق المدح والثناء:

تتنوع أساليب الخطاب القرآني، فهو المعجزة الخالدة، ويتمثل إعجازه في نظمه، وتصويره، ومعالجته للضعف البشري من خلال التقويم، وتقديم المنهجية والضوابط التي تكفل للعبد حياة المتقين في ظل أساليب مختلفة، ومنها أسلوب المدح والثناء.

وما هو المقصد وراء هذا الخطاب القرآني، فنورد وبالله التوفيق الآيات الواردة في سياق المدح والثناء والتي تضمن لفظة السيما.

١. ورود السيما في وصف الملائكة:

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: ١٢٥.

اختلف اشتقاق الإسم في الآية فقال: مسومين[١]، ولكن لم يختلف المعنى في كونها تدل على العلامة المميزة للملائكة يوم بدرٍ وعلامتهم "مجزوزة أذناب خيلهم ونواصيها فيها الصوف أو العهن"[٢] ، أو أن الملائكة جعلوا خيلهم نوعاً خاصاً وهي البلق فقد سوموا خيلهم.

---

(١) قرئت (مُسوِّمين) أي سوموها بعلائم في نواصيها وأذنابها وهذه قراءة ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وقرأ الباقون بفتح الواو (مسوَّمين) أي أرسلوا خيلهم في المرعى. انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: ١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ.١/٥٠٥.

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط:١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م، ٣٤/٦. وتفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط: ١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩هـ. ٤١٠/١.

وكون المقاتل يميز نفسه بعلامة ولا يتقي أعدائه، فهو يرمز إلى أنه واثق بحمايته نفسه وشجاعته وصدق نقاءه، وأنه لا يعبأُ بغيره من العدو.

وكل ما سبق في وصف الملائكة في يوم بدر، وكونهم مسومين، والسبب في حصول هذا الشرف للمؤمنين من تأييدهم بالملائكة وتقوية روحهم المعنوية والحسية بقوةٍ وقدرٍ وعونٍ إلهي هو الصبر والتقوى، فكانت لهم كرامة بنزول الملائكة معهم وإرهاب الكفار بهم وعدم الاكتراث والتأخر بالمتأخرين والمتعذرين عن القتال لما حصل لهم من العِوضِ الرباني نعم الوكيل ونعم العون والمددُ.

لطائف الآية:

١. الصبر والتقوى ومجاهدة النفس على تحقيق هذا المقام بإخلاص التعبد لله في سائر الأعمال والأقوال وحمل تكاليف الشريعة والبقاء داخل حدود الله والرضا بما قسمه الله، الأمر الذي أكده الطبري[١] عندما ذكر الأثر: "كان هذا الوعد لهم يوم بدر فصبر المؤمنون واتقوا الله، فأمدهم بملائكته على ما وعدهم "[٢]، والاحتساب في ذلك هو عين الصبر والتقوى ومنهاج الربانيين عند الدخول في الابتلاءات العظيمة والثبات على الحق وهذا ما يجب علينا الآن في زمن الأوبئة وانتشار الفتن وظهور الرويبضات وعلو شأنهم اللهم ردنا إليك رداً جميلاً ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

٢. اتخاذ الشارة والعلامة سنة ربانية ومنها أن يجعل السلطان علامات للقبائل أو الكتائب لتميزها عند الحرب، كما ذكر في الأثر في تفسير البغوي[٣]: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر: تسوموا فإن الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلانسهم ومغافرهم "[٤].

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، المحدث، الفقيه، المقرئ، المؤرخ، كان فصيح اللسان، وله جملة من المصنفات، ومنها: جامع البيان، ت: ٣١٠هـ. انظر: طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط: ١، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ١٣٩٦ هـ. ص٨٢.

(٢) تفسير الطبري، ٦/٢١.

(٣) هو: الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، أبو محمد، كان جامع لعلوم القرآن والسنة والفقه، له مصنفات عديدة في التفسير وغيره منها: شرح السنة، ت ٥١٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ١٩/٤٣٩.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط:١، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ١٤٢٠ هـ، ص٥٠٣.

٣. من أعلى مقامات الرضا أن يؤيد الرب جل جلاله عبدة بالملائكة فكيف وهم مسومين.

٢. ورود السيما في وصف العاقل:

أولاً: قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٧٣.

يظهر الله تعالى من خلال هذه الآية العظيمة معنى السيما في حق الفقراء المتصفين بغنى النفس وهي في هذا الموضع صيغة مبالغة لتدل على العلامة الخفية التي تظهر للمستبصر المتطلع لأحوال الفقراء الذين لا يكثرون البث والشكوى، ويعيشون في جلباب التجمل، فوجب استقصاء ذلك من لمحات الوجه، فالعلامة إذن هي الظاهرة التي تبدو لذوي البصيرة المتأمل الذين يطمئن إليهم، ولابد من صرف المعروف إليهم والتنبه لهم والتفطن وذلك لمن كان فقرهم خفياً.

وخاصة ممن هم من ذوي القربى فكم من باذل للخير قائم بالمعروف آناء الليل وأطراف النهار غافل عن أهله وذويه ممن هم أهل ورعٍ وعفاف ويدخل معهم أيضاً الدعاة والمجاهدين وأهل العلم وطلبته فهم ليسوا من قبيل المتسولين المتخصصين ولهذا كان هذا المصرف أعظم شأناً عند الله من المصرف على أهل المسألة من الفقراء.

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على ابن عمه مسطح[1]، فلما بلغه أنه ممن تكلم في عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك أقسم ألا ينفق عليه أبداً، فنزل القرآن الكريم يعاتبه قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور: ٢٢

(١) هو: مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ المطلبيّ، اسمه، عوف، أبو عبد الله، وأمه بنت خالة أبي بكر الصديق، فكان ينفق عليه، ت: ٣٤هـ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط: ١، دار الكتب العلمية –بيروت–١٤١٥ هـ.

فلما قُرئت على أبي بكر قال: والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: لا أنزعها منه أبداً.

لطائف الآية:

١. حث الله سبحانه وتعالى على تلمس حاجات الفقراء المتعففين ومدحهم وتعظيمهم وطلب والتفطن لهم والبحث عنهم كما ذكر في قول ابن مسعود[١] " تعرفهم بسيماهم " أي بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم[٢]، فهم أولى بالصدقة من المتسول الطواف، ويدخل فيهم ضمناً الدعاة والعلماء والمجاهدين فكان ذلك من أعظم الصدقة وأكرمها عند الله لما فيها من المشقة الزائدة في استقصاء أمرهم لخفائهم وتعففهم وصبرهم واحتسابهم ولا يكون ذلك إلا بمخالطة طبقات المجتمع ومشاركته همومه فهذا من أعظم مسالك الإحسان فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان! قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً"[٣].

وكان ابن المبارك[٤] يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل: لو عممت! فقال: إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء.

٢. فيه تنبه على سوء طريقة من يسأل الناس إلحافاً، فهو سلوك لا يجوز إلا لمضطر ووجوب العمل والكدح على كل ذي قوة، لأن ترك العمل والتعاجز عنه، والركون إلى مسألة الناس هذا مرض نفسي، وخلل اجتماعي ولا يوجد هناك شيء اسمه (بطالة) قال صلى الله عليه وسلم: "من استغنى أغناه الله، ومن

---

(١) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ ابن فار، أبو عبد الرحمن، أسلم في أول الإسلام، وكان يعرف بصاحب السواد والسواك، ت: ٣٢هـ. انظر: معرفة الصحابة أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط:١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، ١٧٦٥/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط:٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م، ص ٧٠٥.

(٣) أخرجه البخاري، في الصحيح، كتاب: الزكاة، باب قوله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً)، ١٤٧٩/١٢٥/٢.

(٤) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وصنف التصانيف النافعة الكثيرة. وحديثه حجة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول. ت:١٨١هـ. انظر: سير اعلام النبلاء، للذهبي: ٣٧٨/٨.

استعف أعفه الله عز وجل، ومن استكفى كفاه الله عز وجل، ومن سأل وله قيمة أوقية، فقد ألحف"[1] فلا بد من العمل بالمفهوم الإيماني لمعنى الرزق وطلب العمل والقناعة والرضا ولو بقليل.

ثانياً: قال تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر: ٧٥.

جاءت هذه الآية الكريمة بعد ذكر قصة قوم لوطٍ، وما وقع بهم من العذاب، فلابد لكل مؤمن شاهد هذه الحقائق بقلبٍ حي أن يعتبر، ومن رأى الشر وأصحابه أبغضه، والموفق من وفقه الله لفهم هذه العبر، ولا يأمن نقمة الله وغضبه إلا جاهل مبين، والمؤمن التقي لا يزيده ذلك إلا خشية ورهبة تجعل له رفعة وأماناً عند ربه.

وقد فسرت لفظة المتوسمين: بالمتفرسين، وهم أشخاص وهبهم الله الفراسة والتفكر والتثبت والنظر، وهي الظن الصائب الناشئ عن تثبيت النظر في الظاهر لإدراك الباطن، فالفراسة ليست لكل الناس بل للأصفياء من خلق الله، فهي هبة وعطاء من الله لا يكون إلا لمن خَلُص عمله واستنارت سريرته بنور خالقه، ولذلك عَبَّر القرآن عن علم بأنه علم لدني ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف: ٦٥، وهي غالباً ما تكون مقرونة بالصالحين وفيها علامة محبة الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الآية: إن في ذلك لآيات للمتوسمين"[2]، وفيها تعريض لمن تمر عليهم العبر والعظات والأدلة على وحدانية الله وكمال قدرته فلا يعتبرون ولا يتعظون لانطماس بصيرتهم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م. ١١٠٦٠/١١٤/١٧، وأخرجه الدار قطني في السنن ، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، ط:١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ١٩٨٨/٢٠/٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١٠٤٢/٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط:٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.، باب: ومن سورة الحجر، ٣١٢٧/٢٩٨/٥، وقال فيه : هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية: {إن في ذلك لآيات للمتوسمين} [الحجر: ٧٥] قال: للمتفرسين "، والطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد مرفوعاً (٧٨٤٣/٣٣/٨). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار، والطبراني في الأوسط، وإسناده حسن. ١٧٩٣٧/٢٦٨/١٠.

واستيلاء الأهواء والشهوات على نفوسهم قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ يوسف: ١٠٥-١٠٦

ثم إن الفراسة هبة من الله يتلقاها المؤمن على قدر إخلاصه، وعلى درجة إيمانه وليس صناعة كسبيه يستدعيها متى شاء، فهي فطنة إيمانية.

ولنا في القصة عبرة:

لقد كان يقال عن ابن عباس كأنه ينظر للغيب من ستر رقيق لفراسته وعمق نظرته وحينما سئل هل للقاتل توبة فقال: لا وسأله الثاني: هل للقاتل توبة؟ قال: نعم، وحينما سألاه أصحابه عن سبب ذلك قال: أما الأول فقد جاء يريد القتل فلن أعينه وأما الثاني فقد جاء مُسْتَكِناً قد قتل فلم أقنطه، فكان حكمه رضي الله عنه عن علامات تفرسها في وجه السائل وعينيه، وأفتى بما فيه المصلحة [1]. في قوله أما الأول فرأيت في عينيه إرادة القتل فمنعته وأما الثاني فجاء مستكيناً قد قتل فلم أقنطه.

لطائف الآية:

١. الاستفادة من العبر التي حدثت مع الأمم السابقة، وأخذ هذه العلامات محط العظة والاستفادة وهو ما ورد في بيان معنى الآية (... إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم، وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله، وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به[2].

٢. سل الله أن يرزقك الفراسة وابذل أسبابها وهي تقوى الله ومخالفة الهوى والتجرد لله من كل حول وقوة ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ النور: ٤٠.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

(١) تفسير القرطبي، ٣٣٣/٥، مقدمة المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، ٥٠/١

(٢) تفسير الطري ٩٤/١٤

شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ الفتح:٢٩

سيماهم في وجوهم من أثر السجود، فهي علامات أثر العبادة في وجوهم، والوجه كل محل الشرف والفخر، فلم ينالوا هذه السمات والعلامات إلا لما كانوا بمنزلة إيمانية عالية، وكما قال بعض المفسرين أنها علامات حقيقية أو مجازية فالحقيقة هي العلامات في جباههم يؤثره كثرة السجود، ومنهم من ذهب إلى أنها مجازية، فهي نور في الوجه "فلما استنارت بالصلاة بواطنهم استنارت بالجلال ظواهرهم"[1].

وهناك قول آخر: انها سمة الإسلام كما أورده الطبري: " أما أنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وسحنته وسمته وخشوعه"[2]، وعلى القولين، فلابد على الكيس الفطن من استجلاب أسباب هذه السمات الربانية، والطريق العملي لذلك من تفصيل موضع الآية ومعطياتها والاهتداء بهديها لذوي البصائر التي يحرزون بها ذلك الشرف الرباني بحفظ مقام العبودية من البعد عن الاشتغال بالشهوات والملذات والغفلة، والاشتغال بتنقية القلب من الذنوب ومجاهدة النفس ومقاطعة الزلات والاعتراف بالتقصير والطمع بالفضل الإلهي حرصاً على بقاء القلب موصولاً بالله راضياً قانعاً مطمئناً. والفوز بالسيما المحمودة والتي سببها الصلاة الخاشعة.

لطائف الآية:

١. لما أتم وصفهم ومدحهم، بأن لهم علامة من أثر السجود، بين أن سبب ذلك هو الصلاة، فهي زاد الأنبياء والصديقين، وهي فرج المهمومين ومطية التوابين، فإذا ثقلت على العبد همومه الدنيوية والاقتصادية، فهذا علاج شافٍ كافٍ حُبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والرحمة وكثرة الصلاة والتبتل بين يدي التواب الرحيم. قال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ فصلت: ٣٥، فشعارهم عبادة وجهاد وبصيرة فتحت لهم آفاق القبول ورضى الرحمن، حتى وسمهم بعلامات

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٧٩٥.

(٢) تفسير الطبري ٣٢٣/٢١.

ذلك مثلهم في التوراة. فالصلاة هي أصدق تعبير عن خضوع القلب والجوارح لله رب العالمين. وبذلك ينال العبد شرف هذه السيما قال عليه الصلاة والسلام: "ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة"[(١)].

٢. إن كلمات القرآن الكريم عندما تفهم بحقها تصنع رجالاً لا كأي رجال إنها تصنع البواطن قبل الظواهر فيخرج بذلك قوم جديرون بأن يسموا بـ (أهل الله وخاصته).

٣- ورود السيما في وصف غير العاقل:

قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ آل عمران: ١٤

ورد الخطاب القرآني في لفظة السيما في هذه الآية لغير العاقل، فعبر به عن الخيل وكذلك اختلف الاشتقاق، ومعنى السوم هنا اختلف ببعض أقوال المفسرين، فقالوا: أن المسومة هي المسرحة في الرعي وبعضهم قال: تسويمها حسنها ومنهم من ردها إلى معنى العلامة قال كعب بن مالك[(٢)]: أمين محب للعباد مسوم ... بخاتم رب قاهر للخواتم [(٣)]

وصيغة التفعيل والاستفعال تكثران في اشتقاق الأفعال من الأسماء الجامدة. وذكر الخيل المسومة في الآية الكريمة باعتبارها زينة ومتعة في الحياة الدنيا، ومما هو معروف أن الخيل من مفاخر الناس، ومن أدوات القتال، وكانت عزاً للعربي، ولكن كانت هذه الزينة إشارة لما تضمنته من الفتنة ودخلت في الشهوات، وهذا

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/٦٣٣/٢٤٥٠ وقال فيه: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر)، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: ١، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١١ – ١٩٩٠. كتاب الرقاق، ٤/٣٤٣/٧٨٥١ وقال فيه: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي، ٢/١٠٦٩/٦٢٢٠.

(٢) كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو الأنصاري، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت: ٥١هـ، سير أعلام النبلاء، ٢/٥٢٩.

(٣) القصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط:١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢، ١/٢٤٥، وا الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة – واخرون، ط:١، وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سلطنة عمان، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.، ٢/٢١٣.

الحب هو فطري جبلي ركب في غريزة الإنسان، وهي في أصلها نعم من الله تعالى أنزلها لعباده ابتلاء لهم في الدنيا، فهم فيها بين مفتون مغرور وبين معترف مقتصد شكور، قال صلى الله عليه وسلم: "هذا المال خضرة حلوة" (١).

وقد يبلى العبد بحب هذه الدنيا وتكديس الثروات والأملاك، يتبع ذلك من الأنعام بأنواعها من أبقار وأغنام أو جمال أو خيل مُسوَّمات، أي مرسلات في المراعي بأجمل منظر لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ النحل: ٥-٦.

ويقابلها في عصرنا الحاضر السيارات وحب امتلاكها وتغييرها في كل عام، وعدم القناعة بما يسد الحاجة، ويحقق معنى الزينة، بل تجده مفتوناً بهذه النعمة، ومستسلم لهذه الشهوة الآسرة والشره الشيطاني قال صلى الله عليه وسلم: "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب" (٢).

فلابد لهذه النفس أن تستيقظ من سكراتها وتعلم حقيقة زوال وفناء هذا النعم وإنما هي فانية خداعة والله عنده أحسن من ذلك ثواباً ومآباً.

فالمبالغة في حب هذه الشهوات والاستعراض بها عند من لا يجد قوت يومه، فيه من كسر نفوسهم وإدخال الحزن عليهم، وتذكيرهم بما يجدونه من قلة الحيلة والعجز عن تأمين أقل القليل من احتياجاتهم، ثم بعد ذلك كله ازدراء ما في أيدهم من النعمة وإن كانت كافية، وكذلك ما يتم استعراضه في برامج التواصل الاجتماعي المتنوعة من الأمراض الخطيرة التي تعاني منها الأمة، والغرق في الشهوات، وشراء كل ما لا يحتاجون إليه من لباس أو غذاء أو أجهزة ذكية أو مركبات أو غيرها، باختلاف الفئات التي تشاهد هذا

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، ١٤٦٥/١٢١/٢، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة على اليتامى، وأخرجه مسلم في الصحيح، ١٠٣٥/٧١٧/٢، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح، ٦٤٣٩/٩٣/٨، كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال، وأخرجه مسلم في صحيحه، ١١٦/٧٢٥/٢، كتاب: الزكاة، باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً.

الإرتماء في أحضان الشهوات، ومما فرضوه علينا من ثقافة (الموضة) الفتاكة، وما هو إلا من الاستهلاك التافه والسفه المالي، والإدارة الاستهلاكية الفاشلة، والتكاثر فيما لا ينفع من زينة الأشكال والألوان، ونرجع إلى تقييد الخطاب بالنفس التي لا تشبع، وبليت بحب التملك وشهوة المتع والملذات، ثم أقبح من ذلك استعراض هذه النعمة الاغترار بها.

والله إنه لمن المؤلم حقاً أن ترى المجتمعات قد زخرت بأمثالهم، وبدأوا باقتفاء آثارهم، واستحلال ذلك الصنيع.

لطيفة:

١. إن من نجح في السيطرة على نفسه وإخضاع شهواتها لأحكام شرع الله فسخر متع الحياة بشتى صورها لخدمة الدين فهو من السابقين فقد قال فقراء الصحابة من قبل: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال صلى الله عليه وسلم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[١] وأهل الدثور هم الأغنياء.

قال تعالى في وصف الشجر: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ النحل: ١٠.

وردت لفظة السيما هنا في اشتقاق الاسم الجامد وهي من أسام فلان غلبه إذا رعاها ومنه قول الأعشى [٢]:

ومشى القوم بالعماد إلى الرزحى ... وأعيا المسيم أين المساق [٣].

ويكون المعنى: ترعون مواشيكم [٤] ، وأرجعها بعضهم إلى السومة، وهي العلامة؛ لأنها تؤثر في الأرض

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان فضله، ١/٤١٦/٥٩٥.

(٢) عبد الله بن الزبير بن سليم ويقال ابن الأسلم ابن الأعشى أبو سعد الأسدي الكوفي الشاعر، له نظم بديع. ت: ٩٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/٣٧٣.

(٣) البيت من الخفيف من ديوان الأعشى، ٢٦٣-٢٦٥، انظر: الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، ط:٢، دار الكتب العلمية - بيروت ٣/٢٣٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري، ١٤/١٨١.

علامات [1].

وأن هذه نعمة بلا ريب تستحق الشكر، فهو سبحانه لم يتركنا هملاً، بل أكرمنا برعايته فهذه الأرض هي خلقه سبحانه، فكيف سخرها لخدمتنا وخدمة أنعامنا، فهو رزق محض منه جل جلاله، وجملة هذه النعم تدل على وجوده ووحدانيته وفضله وكرمه فهل تشكرون؟!.

فهو الله الذي خلقها وملكها الأنفس وجعل فيها هذه المنافع، فلابد من حفظ هذه النعم بشكرها، فالشكر هو الأمان لبقاء هذه النعمة والغفلة عن الشكر هو جحودها وزوالها.

لطيفة:

أن الابتلاء يكون في الخير والشر؛ لأن في كليهما ثبات النفس وخلق الأناة والصبر، لقوله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء: ٣٥. وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ النمل: ٤٠.

فلابد في هذا الإختبار من استجلاب سبل وأسباب الفوز والنجاح ومن الأسباب:

١. تذكر الثمرة دائماً محفز على الدوام والثبات على الشكر ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧.

٢. أداء حقوق الله في هذه النعمة من الزكاة وصرف هذه النعمة في مصارف الخير.

٣. عدم الإعانة بهذه النعمة على منكر بأي صورة من الصور، وحفظها عن كل إثم أو معصية.

٤. مجاهدة النفس على شكر النعم، وطلب الإعانة من الله بالدعاء والصبر على ذلك.

٥. التفكر العميق بهذه النعمة والتيقن بأنها رزق محض واستشعار ذلك.

٦. الالتزام بالأدعية الشرعية الواردة في شكر الله وحمده وثناءه.

قال تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود: ٨٣

(١) البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٥١١/٦.

وقوله تعالى في وصف الحجارة : ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ الذاريات: ٣٣-٣٤.

وردت الآيات في الأخبار عن قوم لوط وجريمتهم قذرة ومشهورة فلم يكونوا مكذوبين فقط بنبيهم، بل كانوا يمارسون أقذر الفواحش، وهم أول من ابتدع هذا المنكر في التاريخ البشري ووردت لفظة السيما هنا في اشتقاقها، كما وردت في وصف الخيل المسومة، وهي هنا بمعنى العلامة فالحجارة كانت معلمة ولا تشاكل حجارة الأرض، ومرقمة، أي: ذات علامات وأختام ،كل حجر كتب عليها اسم المجرم الذي يستحقه [١] وذلك بما أسرفوا من الكفر والخبائث -نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين- فهي ليست من الحجارة المتعارف عليها مخصصة لهلاك المتمادين في الضلالة المجاوزين الحد في الفجور. وأن هذا العذاب ليس عشوائياً يصيب الصالح والطالح بل فيه تمييز المجرمين عن المؤمنين.

لطيفة:

أن جميع ما نراه اليوم من الكوارث الطبيعية هو استمرار لسنة الله في الانتقام من أهل الفسق والفجور، وخرق هذه القواعد الطبيعية هو بمشيئته وبتدبيره سبحانه، وهي حقائق منزلة، فلابد من السير في الأرض ما أمكن لمشاهدة هذه الآثار البائدة مما يذكر بأيام الله، ومما يقود للإعتبار وأننا غير معصومين، فلابد من الحذر والخوف من العذاب الأليم، لقوله صلى الله عليه وسلم: (يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف)[٢] فهذا حديث متواتر المعنى ولقد وقع بعض من هذا في السنوات الأخيرة في مناطق بلغ بأهلها الفسق والفجور حد الطغيان الله إنا نعوذ برضاك من سخطك.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ١٩٨/٢٠، وتفسير ابن كثير، ٣٤٠/٤

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، سن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية -فيصل عيسى البابي الحلبي، باب: الخسوف، ٤٠٦٢/١٣٥٠/٢. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٨١٥٣/١٣٥٥/٢.

المطلب الثاني: مفهوم السيما في سياق الذم والإهانة:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ محمد: ٣٠.

وبيان هذه الآية له تعلق بالمبحث السابق حينما تحدثنا عن فراسة المؤمن، وكيف يتعرف بها على أصناف الناس، فله نور وبصيرة اختصه الله بها، كما قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٢.

والآية في معرض الحديث عن المنافقين الذين ترددوا بين الإيمان والكفر، واستكبروا على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ المنافقون: ٤.

فهم رفعوا شعار الإيمان ظاهراً، ولكن الله فضحهم ونفى عنهم الإيمان، فسرائر المنافقين وخبثهم يظهر على قسمات وجوههم وأسلوب كلامهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ البقرة:٩ وقوله: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ البقرة: ١٠، فالنفاق مرض ولابد من اتقائه والتحذير من الوقوع في خصاله والتلوث بأخلاقه، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها:" إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر"[(١)].

ومعنى السيما أيضاً وإن وردت في ذم المنافقين، فمعناها العلامة كما ذكر القرطبي[(٢)]: "...فلتعرفنهم بسيماه "، أي: بسيماهم أي بعلاماتهم، قال أنس: ما خفي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، ١/١٦/٣٤.

(٢) هو محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد بن ربيعة بن داود بن سليمان بن عمار بن ياسر، كان رأس فقهاء المالكية بمصر، وأحفظهم للمذهب، من مؤلفاته: أحكام القرآن، ت سنة ٣٥٥هـ، انظر: طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢ /٢٢٤.

أحد من المنافقين ، كان يعرفهم بسيماهم)[1].

وما كان قول القرطبي إلا مستنداً لما أوضحه الطبري بقوله: "...فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم، وظاهر أفعالهم "[2].

لطائف الآيات:

١. اليقظة باكتساب وعي دقيق بطبيعة النفاق، والتفقه في أحواله منزلة على هذا العصر ويتحقق ذلك بتدبر الآيات التي وردت في هذا الصنف.

٢. ضرورة حفظ القلب من أمراض النفاق وخصاله وذلك:

١. بتقويه الجانب الإيماني والتخلق بالتقوى خير حافظ للمؤمن من مزالق الشيطان.

٢. المعالجة السريعة للذنوب بالتوبة الصادقة والمبادرة إلى فعل عمل صالح قبل انقضاء اليوم الذي وقعت فيه الخطيئة وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم خلاصة هذا المعالجة بقوله: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" [3].

٣. التزام الدعاء بالحفظ من الذنوب والنجاة من الضلال وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" [4].

٤. الحذر أشد الحذر من الشماتة بهذه الطائفة أو بمن كان على معصية كبيرة أو صغيرة، وحمد الله وثناؤه في كل وقت وحين أن وفقنا لطريق الرشاد ونسأل الله الثبات عليه.

---

(١) تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ٢٥٢/١٦.

(٢) تفسير الطبري،٢٢٢/٢١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ٢١٣٥٤/٢٨٤/٣٥، وأخرجه الترمذي في السنن، باب ما جاء في معاشرة الناس، ١٩٨٧/٣٥٥/٤، قال الترمذي والصحيح حديث أبي ذر. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ط:٥، مكتبة المعارف- الرياض. حسن لغيره، ٢٦٥٥/٨/٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، وقال: وهذا حديث حسن، باب: ما داء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ٢١٤٠/٤٤٨/٤. وأخرجه أحمد في المسند، ١٣٦٩٧/٢٦٠/٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١٣٢٣/٢.

٣. جمع المنافقون بين الشرين فاستحقوا عقاب الدنيا مرضاً نفسياً مدمراً وعقاب الأخرة عذاباً أليماً والعياذ بالله.

وقال تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ الرحمن: ٤١، يخاطب الله بهذه الآية الكفار، وقد وصفهم بالمجرمين، فجمع لهم بين الكفر والفجور قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ نوح: ٢٧.

ويستغنى عن سؤالهم بظهور علاماتهم فتعرفهم الملائكة بسيماهم وهي: سواد الوجوه وزرقة العيون قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ طه: ١٠٢[(١)].

ولا حاجة بهذه السمة إلى السؤال والجواب لأن السيما ميزت كل مجرم بنوع جرمه. وفيها ملحظ التمكن والتسلط والاقتدار دلالة الهوان والإذلال والعقاب.

لطائف الآية:

١. في الآخرة يظهر الحق من الباطل والسوي من المذنب فالعدالة الإلهية تظهر في أرهب صورة لكشف المجرم والنيل منه بمنظر مهيب وعقابٍ شنيع. ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ المجادلة:٦

٢. الكفر شر محض وقلب الكافر يتقلب في الظلمات فلابد للمؤمن أن يفرق بين من بايع الشيطان في الضلال والإضلال، وبين من لان قلبه لله فأسلم، فالكفار ليسوا سواء فلابد من أخذ الحذر والاحتياط، والعالم اليوم صار قرية واحدة صغيرة. فلا يعتقد المؤمن أنه بمنأى عن أذى الكفار.

وقال تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ القلم: ١٦

وردت السمة في هذه الآية بإشتقاق اختلف عن الآيات السابقة، فورد بالقصر ولكن المعنى على أنها العلامة لم يختلف، فمعظم المفسرين[(٢)] على أن المعنى بهذا الوعيد هو الوليد بن المغيرة فهو كافر جاحد خبيث حكم الله عليه بالذل والهوان بوسمه على أنفه يوم بدرٍ بالسيف، فأصبحت علامة لازمته حتى مماته، والوجه أكثر موضع في الجسد، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة، وقالوا: جدع أنفه

(١) انظر: تفسير الطبري، ١٦/١٦١، وتفسير ابن كثير، ٥/٣١٥.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ، ١٨/٢٢٩.

ورغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم استخفافاً به واستهانة به، لأن أصل الخرطوم للخنزير والفيل، وصار في غاية الإذلال والإهانة بعلامة مشوهة بين بها عن سائر الكفرة.

ومن معاني الوسم كما رأى العلماء: "تسويد الوجه لمن يشهد الزور علامة على قبح المعصية وتشديدا لمن يتعاطاها ... واعظم الإهانة إهانة الوجه ".[1]

لطائف الآية:

١. توجيه لعدم الإغترار بقوة الكفار المادية ولا قوة السلطان والمال والولد فالكفر سبب كافٍ لإذلالهم واحتقارهم وهلاكهم.

٢. لابد من التفطن لسنن الله في نصر أولياءه وهزيمة أعدائه وأن الله ما خذل مؤمناً قط.

ورودت لفظة السيما في سياق المدح والذم في آيتين متجاوتين:

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأعراف: ٤٦-٤٨.

وردت لفظة السيما في هذه الآيات مرتين، وفي كل اللفظتين أفادت نفس المعنى مع اختلاف المقصود والغرض، فالآية الأولى وردت في سياق مدح أهل الجنة والثناء عليهم، وأنهم معروفون بعلاماتهم التي يتميزون بها في وجوههم وأعينهم من بياضٍ وحسن[2]، وغير ذلك من العلامات التي يلهمهم الله معرفتها، وينادونهم نداء تحية وتكريم مقبلين عليهم مهنئين مرحبين، ونداؤهم لهم ﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الأعراف: ٤٦.

ثم وردت بعد ذلك في سياق الذم والإهانة للكفار المستكبرين، وهم أهل النار وعلامتهم زرقة العيون وسواد الوجوه [3]-والعياذ بالله-.

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٣٨/١٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٢٢٢/١٠

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣١٥/٥، تفسير الطبري، ٣٢٧/١٨.

فلابد من الإعتبار بالفريقين، ومعرفة حيز هؤلاء وحيز هؤلاء، والخروج من ذلك بفائدة دنيوية والوصول بها إلى النجاة في الآخرة.

لطيفة:

إن من جمال الإسلام أن باب التوبة مفتوح للكافر مهما كان ظلمه وتجبره وطغيانه، فإن دخل الإسلام فمغفور ذنبه، فحري بالمؤمن أن يأخذ نصيبه من هذا المغنم العظيم والارتقاء بنفسه إلى مقام إيماني رفيع، وذلك بجمع قلبه وعقده على عرىً راسخة متعلقة بربٍ غفورٍ رحيم.

هنا جاء الخطاب فيها عن أقوام اساؤوا لأقوام والإشارة لمرحلة الإبتلاء:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ٤٩

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ الأعراف: ١٤١

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ إبراهيم: ٦

جاء هنا التعبير بقوله: يسومونكم على الفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار، وهو من المساومة بالسلعة، يقال: وسامة خطة ضيم. أي إذا أولاه ذلك وأذامه بالأيام الكالحة، لجرائم ومصائب فرعون في قومه وكيف كانت مرحلة ابتلاء وفترة هوان وإذلال آن ذاك يذيقونهم أشد العذاب بتذبيح الأطفال واسترقاق الإناث للخدمة والمتعة.

فيذكرهم جل جلاله بهذه النجاة من ذلك الظالم، وتلك النعمة المتجددة عليهم بعد الابتلاء وكيف كان النصر والخلاص من ذلك الطاغية المجرم.

وهنا نحن نقع في الابتلاءات، ولا عبرة بسابقها ولا جديدها فهي تمر بنا ونحن غارقون في غفلتنا وشهواتنا، ولا استجابة لأمر ولا لنهي رباني، وعلم بلا عمل أو عمل بلا علم، وفي كليهما قصور فلابد

من الاستزادة من الأغذية القلبية، وإنما يحصل للعبد التلذذ والاعتبار والتفكر، والامتثال بقدر ما وقر في قلبه من محبة ورغبة ورهبة يحصل معها تزكية النفس، وتذليلها لطاعة مولاها والافتقار إليه وشكره قياماً وقعوداً فهو سبحانه المتفضل المنعم.

لطيفة:

أن الإذلال يفسد الطبع البشري ويدمر الشخصية، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منه كما ثبت في دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظلم أو اظلم"(١) ولذلك وردت نصائح نبوية للمؤمن بعدم تعريض نفسه لمواقف الذل، فعن حذيفة بن اليمان(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه" ، قيل: وكيف يذل نفسه؟ قال: "يتعرض من البلاء لما لا يطيق" (٣)، وحرمت المسألة على المسلم إلا للضرورة بسبب ما يصيب صاحبها من الذل والصغار، وكذا تعرض بعض الآباء والأمهات لأبنائهم بالشتائم والتنقيص والسخرية مما يهدم شخصيتهم ويجعلهم عاجزين عن كل شيء.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، باب: في الاستعاذة، ١٥٤٤/٩١/٢، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب دعوات النبي صلى الله عليه وسلم، ٦٧٨/٢٣٦/١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود – الأم، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ط:١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت،١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م، ٢٦٩/٥.

(٢) هو: حذيفة بن حسل، واليمان لقب، ويقال حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث، يكنى أبا عبد الله، من كبار الصحابة، صاحب سر رسول الله، ت :٣٦هـ. انظر معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٦٨٦/٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، وقال: هذا الحديث حسن غريب،٢٢٥٤/٥٢٣/٤، وأخرجه أحمد في المسند، ٢٣٤٤٤/٤٣٥/٢٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٧٧٩٢/١٢٨٦/٢.

المطلب الثالث: ما ورد بمعنى السيما مع اختلاف الألفاظ:

وردت أوصاف في القرآن الكريم في مواضع عدة تعبيراً عن صفة لازمت صاحبها حتى أصبحت كالعلامة يعرف بها فرادفت بذلك معنى السيما. مع اختلاف اللفظ والتعبير المقصود ومنها قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة: ٩٠، وقوله: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الأحزاب: ٦٠، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٦.

وكذلك التعبير بالألوان في السياق القرآني فقد ورد ذكرها في مواضع عديدة، وهي ترمز لعلامة يعرف بها شيء مخصوص، والألوان التي ذكرها القرآن الكريم هي: الأبيض والأخضر والأصفر والأحمر والأسود والأزرق، فكل لون يدل على سمة وصفة تميز الموصوف بها، فالأبيض والأسود في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ البقرة: ١٨٧، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٦، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ النحل: ٥٨، وقال تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ النمل: ١٢، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ فاطر: ٢٧، وقال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ الصافات: ٤٥-٤٦، وقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ الصافات: ٤٩، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ الزمر: ٦٠.

واللون الأخضر في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ الأنعام: ٩٩، وقال تعالى:﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ يوسف: ٤٣، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ الحاج: ٦٣، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يس: ٨٠، وقال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ الرحمن: ٧٦، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ الإنسان: ٢١.

واللون الأزرق في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ طه: ١٠٢

واللون الأصفر في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ البقرة: ٦٩، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ الروم: ٥١، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ الزمر: ٢١

وكما ذكرنا في البداية قوله تعالى:﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾ محمد: ٣٠، واستوفينا الحديث عنها، نذكر من العلامات التي يعرفها بها أيضاً وهي مناسبة لهذا المبحث: (لحن القول)، في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ محمد: ٣٠، فهي تعد من العلامات المرادفة لمعنى السيما.

ونظيره في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : " إن أحبكم إلي وأقربكم مني يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي أبعدكم مني مساوئكم أخلاقاً؛ الثرثارون المتشدقون المتفيهقون "[1]

الثرثارون : المكاثرون في الكلام ، يقال عين ثرثارة ،إذا كانت واسعة الماء ، وأراد الذين يكثرون الكلام تكلفاً.[2]

المتشدقون : المتوسعون في الكلام ،من غير احتيط ولااحتراز ، وقيل المستهزئ الذي يلوي شدقه بهم وعليهم.[3]

---

[1] أخرجه الترمذي في السنن ، كتاب البر والصلة ،باب ماجاء في معالي الأخلاق ، ٣٢٥/٤، والخطيب في تاريخه ٦٣/٤من طريق بن هلال حدثنا مبارك بن فضالة عن أبي عبد ربه ابن سعيد عن محمد المنكدر عن جابر به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) الفائق في غريب الحديث والأثر ،للزمخشري ،تحقيق:علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ،ط:٢،دار المعرفة ،لبنان،حرف الواو ٦٨/٤.

[3] لسان العرب،فصل الشين المعجمة ،١٧٣/١٠.

المتفيهقون الذي يتوسع في كلامه ويفهق فمه أي:فتحه ،مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء[1].

رواه ابن حبان في صحيحه في باب ذكر وصف أقوام يبغضهم الله جل جلاله ، وأوردها أيضاً في باب ذكر خصال من كن فيه استحق بغض المصطفى،وفي تحفة الأحوذي أورده في باب ماجاء في معالم الأخلاق، والنووي في كتاب الأذكار في باب مايكره من الكلام، فمن تصنيفات الإئمة نستنتج أن الألفاظ الواردة في الحديث هي أوصاف ومعالم وعلامات تدل على أخلاق منهيٍ عنها ويعرف مآل صاحبها والمتصف بها فالعلماء استنبطوا أسماء الأبواب في الكتب لما دلت عليه هذه الأوصاف واتسمت به .

المبحث الثاني: دراسة ألفاظ السيما سياق في المدح أوفي سياق الذم أسبابه وجزاؤه

المطلب الأول: أسباب ورود لفظ السيما في سياق المدح أو في سياق الذم

وردت لفظة السيما في سياق المدح في خمسة مواضع كلها كانت لفظة السيما تدل على غاية المدح والثناء والهيبة والسمت والوقار، وكانت أسباب الثناء هي:

١. الإيمان الذي يصاحبه العمل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ البقرة: ٣، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾المجادلة: ٢٢.

٢. الإخلاص فلا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ الليل: ٢٠-٢١.

٣. التعفف وترك السؤال مع الاحتياج فضيلة تستحق الثناء، قال تعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٧٣.

---

[1] المخصص،باب كثرة الكلام والخطأ فيه ،١٠/٢١٥.

٤. التقوى توجب لصاحبها كرامة الدارين، قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران: ١٥.

٥. الصبر على الابتلاء، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٥.

٦. الصلاة وكثرة الركوع والسجود والخشوع والطمأنينة فيها، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: ٩.

٧. الضعف والافتقار إلى الله سبب في حصول الوعد، قال تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص: ٢٤

٨. الشكر عبادة محمودة قال تعالى: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل: ٤

ولقد وردت لفظة السيما في سياق الذم في ستة مواضع عبر بها القرآن الكريم عن بشاعة الموقف والمآل الذي أرداهم، وتلك عاقبة الفجار نسأل الله العافية والسلامة، وكانت من أسباب الوصول للذم والإهانة هي:

١. الكفر والشرك بالله من أول موجبات غضب الرب، قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الزمر: ٧

٢. الأعمال الباطلة لا ثواب لها ولا خير فيها فالشرك محبط للأعمال، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: ٨٨.

٣. السرائر الفاسدة توجب الذم والاهانة، قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء: ١٣٨، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٤.

٤. التكذيب والفجور والعصيان والغرور بهذه الدنيا الفانية قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ الانفطار: ١٤، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة: ٣٩، وقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ آل عمران: ١٨٥، وقوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ فاطر: ٥.

المطلب الثاني: الجزاء المذكور في ألفاظ السيما:

- **أولاً: في المدح والثناء:**

ذكر سبحانه وتعالى لفظة السيما في القرآن في مواضع مدح فيها عباده أن لهم علامة يعرفون بها، وهذه العلامة هي علامة حسية أو معنوية، وهي إن كانت في الدنيا فهي عاجل بشرى المؤمن وإن كانت في الآخرة فهو الفوز المبين وجنة الخلد التي وعد الله بها عباده المتقين، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ الفتح:٢٩. كما اوردنا سابقا أنها العلامة على الوجوه وهو المقصود بالعلامة الحسية، وينطبق عليها العلامة المعنوية، فإن القلب إذا استنار بنور الإيمان والصلاة تهلل الوجه بذلك النور، إن للحسنة نورا في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس.

وقال أمير المؤمنين عثمان: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه. (١)

وما حُسْنُ الوجه وظهور أثر السجود إلا من عاجل البشرى في الدنيا، وأما جزاء الآخرة، فقد بشر الله عباده به في الدنيا عندما اختتم هذه الآية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ الفتح:٢٩، فهو الفوز المبين وجنة الخلد التي وعد الله بها عباده المتقين. بأن جعل لهم نورا في وجوههم يميزهم يوم القيامة كما ذكر الطبري عن مقاتل بن حيان[٢] قال : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ قال : النور يوم القيامة .[٣]

وكل الآيات التي ذكرت السيما على سبيل المدح وضحت أنها جزاء وكرامة وإرشاد ووعظ للآخرين، ليقتدوا ويسيروا على هذا النهج، فهذا قوله تعالى ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٧٣. رغم

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣٦١/٧.

(٢) هو: مقاتل بن حيان بن دوال دور النبطي، أبو بسطام، البلخي، الإمام، العالم، المحدث، الثقة، وكان من العلماء العاملين، ذا نسك وفضل، ت: ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٤٠/٦.

(٣) تفسير الطبري، ٣٢٢/٢١.

أن سياق الآية تكلم عن الفقراء لكن فقراء المؤمنين الذي أغناهم الإيمان أصبحوا نموذجاً يقتدى به، فهم رغم انكسار الفقر والحاجة والعوز إلا أنهم بسماتهم وخصائصهم استطاعوا التغلب على شعور الفقر وحسبهم الجهال أغنياء ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾.

وهذا بيان "لصدق صبرهم وحسن تعففهم "[1]؛ لأن الأصل هو غنى الإيمان الذي انعكس على أشكالهم رغم فقرهم، ولهذا اختتم الخطاب الرباني في الآية بالأمر بالإنفاق وتحري الفقراء وتلمس حاجاتهم: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٧٣، وما ارتبط علم الله بالإنفاق إلا لأن عليه الجزاء الكبير، وهو ما ذكر في سياق الآية التي تلي هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٤، قال الأخفش[2]: جعل الخبر بالفاء، لأن الذين بمعنى «من»، وجواب من بالفاء في الجزاء، ومعنى الآية: من أنفق كذا فله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. [3]

- **ثانياً: في الذم والإهانة:**

وفي المقابل لأهل الفريق الأول وهم الناجون والفائزون، هناك فريق آخر وهم أهل السيما المذمومة الذين دخلوا في الوعيد الشديد والخسران المبين، فمكانهم النار خالدين فيها وبئس المصير.

وكجزاء المؤمنين الذين ميزهم الله بالسيما والعلامة الحسنة جزاءً دنيوياً وأخروياً . فإن ذم المشركين وأصحاب السيما السيئة عقاباً دنيوياً وأخرويا، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ محمد: ٣٠، أي: لا بد أن يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات ألسنتهم، فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر، ففضح الله المنافقين وكشف نواياهم السيئة.

---

(١) تفسير السعدي، ص ١١٦.

(٢) هو: سعيد بن مسعدة الأخفش مولى بني مجاشع بن دارم، أبو الحسن، له كتب كثيرة في النحو والعروض منها: الكتاب الأوسط، ت: ٢١٥هـ. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٣٦/٢، سير أعلام النبلاء: ٢٠٦/١٠.

(٣) تفسير البغوي، ٣٨١/١.

ورفع ستر الله نوعا من العقوبة، وجعل الله فضيحتهم بمعرفة سيماهم وعلاماتهم الظاهرة في أقوالهم وأفعالهم، ووجوههم، أي بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم. (١)

وقوله تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾القلم: ١٦، وهي سمة على أنفه ونسود وجهه في الآخرة فيعرف بسواد وجهه. (٢)

وما هذا الجزاء بالسمة ثواباً وعقوبةً في الدنيا وفي الآخرة وسمات الوجوه والأفعال والأقوال بشارةً وذماً إلا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ آل عمران: ١٠٦ .

(١) انظر: تفسير السعدي، ص٧٨٩.

(٢) تفسير القرطبي ، ٢٣٧/١٨.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على معنى السيما في مواضعه المختلفة ودلالاته الدنيوية والأخروية:

تقدم في المباحث السابقة التعرف على اصطلاح السيما على اختلاف اشتقاقاته، واختلاف مواضعه واساليبه أمرٍ ونهيٍ وتذكيرٍ ووعظٍ، ونوع المخاطب وسياق الآية، كل ذلك مجتمعاً كون معاني عميقة ودقيقة وحقق مصالح عاجلة كانت أم أجلة وذلك من خلال الأساليب القرآنية من ثناءٍ وذمٍ أو تخويفٍ أو تذكيرٍ أو ترغيب أو ترهيب، فنتج هذه الأساليب وجمعها وترتيبها واستنطاقها والاستنباط منها ومزامنة هذه العبر والأوامر والنواهي مع الواقع الحالي ومعالجة قضايا ومشكلات الفرد والمجتمع.

وجوهر هذه الدراسة هو: إظهار إعجاز القرآن بهذه اللفظة، بخطوات منهجية، فمرة كانت هي البشارة لقلب المؤمن، وهي الصلة المتينة بين العبد وربه في خطاب الثناء والمدح ورضاه -جلا جلاله-عن عبده التقي المطيع المؤتمر بالأوامر والمنتهي عن النواهي.

ومرة كانت هذه اللفظة هي النذارة والويل والثبور ولقد أعذر من أنذر وعليه تحمل مسؤولية اختياره إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ومرة ورد في وصف الحجارة والخيل وفي ذلك كله على اختلاف دقائقه وأسراره فصاحة وبلاغة وبراعة وأثراً وتأثيراً إن كان على الواقع الحاضر الدنيوي أو على الأخرة وما يؤول إليها.

فهذا القرآن نفحة ربانية لابد أن نصلح بها دنيانا وآخرتنا صلاحاً ربانياً، ولا يكون ذلك إلا بالقرآن المجيد وهو كفيل برفع المسلم إلى منزلة الصالحين المصلحين.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩.

وقال عليه الصلاة والسلام: "كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض"(١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٧/ ١١١٠٣/١٦٩، وابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط:١، مكتبة الرشد – الرياض،١٤٠٩هـ، ٣٠٠٨١/١٣٣/٦، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر

والخلاصة من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾الشورى:٧

وقوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ هود:١٠٥.

وكانت هذه قبسات من مشكاة الوحي تتحدث عن لفظة السيما ومعانيه المختلفة ودلالاته اللغوية والشرعية في كل موضع، وأثر اختلاف المعاني والدلالات.

الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ط: ١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠٢ م، ٣٧/٥.

الخاتمة:

وأخيراً نحمد الله ونثني عليه أن مَنَّ علينا وتفضل بختام هذا البحث في التفسير الموضوعي، ومضمون العمل كان بتتبع لفظة السيما في القرآن الكريم والكشف عن أسرارها والوصول لمفتاح النجاة في الدنيا والآخرة بهذا التتبع والفهم.

ونسأله –رب العالمين–أن يجعلها مادة مقبولة مباركة في الدنيا والأخرة.

أبرز النتائج:

١. التعامل مع الألفاظ القرآنية بمنهجه وموضوعية يبدي أسراراً كامنة لحقائق إيمانية وعمق تربوي له أثر في حياة الفرد المسلم.

٢. اختلاف الأساليب والسياق يؤثر في معنى ومدلول المصطلح، وكذلك اختلاف اشتقاقه يؤثر في نوع المخاطب.

٣. تلمس الهدايات واللطائف هي من أبرز أهداف هذه الدراسة، ولاسيما أنها هي الثمرة.

٤. الرباط الجامع لما ورد من الآيات في هذا البحث هو لفظة السيما على اختلاف مدلولاتها اللغوية والمقاصدية.

التوصيات:

يوصي الباحث بالاهتمام بالتفسير الموضوعي وإثراؤه، وخدمة مواضيع القرآن الكريم، ولفت الانتباه لها، فهي رسائل ربانية يعيها كل قارئ ومستمع، ولكن المقصد من الدراسة بهذه المنهجية خصوصاً تعميم الاشتغال بالقرآن الكريم، ومساعدة من لا خبرة له بصورة مبسطة وسهلة، والرجوع لتربية الفكر والوجدان، وتمتين نسيج المجتمع على المنهج القرآني الرباني.

ثبت المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم .

٢. السنة النبيوية .

٣. الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة – واخرون، ط:١، وزارة التراث القومي والثقافة –مسقط –سلطنة عمان، ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩م.

٤. إرشاد الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط: ١، دار الغرب، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط: ١، دار الكتب العلمية –بيروت–١٤١٥ هـ.

٦. إنباه الرواة، لجمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط: ١، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٩. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، جمال الدين بن محمد الجوزي تحقيق: طارق فتحي، دار الكتب العلمية، ط:١، بيروت ١٤٢٥ هـ –٢٠٠٤م.

١٠. تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط:١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط:٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ –١٩٩٩ م.

١٢. تفسير القرآن، عز الدين بن عبد السلام، تحقيق: عبد الله الوهبي، ط:١دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٣. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط: ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ.

١٤. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر القرشي، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الفكر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

١٥. تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث — بيروت، ط:١ - ١٤٢٣ هـ.

١٦. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: ١، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ٢٠٠١م.

١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط:١، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١م.

١٩. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:٢، دار الكتب المصرية — القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٠. حسن المحاضرة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط: ١، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٨٧هـ.

٢١. الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، ط:٢، دار الكتب العلمية — بيروت.

٢٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، شهاب الدين، بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٢٠١٠م.

٢٣. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط:١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

٢٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ط: ١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٥. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ط:١، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٢٦. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٧. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٨. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط:٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥م.

٢٩. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، ط:١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٠. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٣١. شرح ديوان الحماسة، لأبو علي الاصفهاني، تحقيق: تحرير الشيخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٣٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط:٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م.

٣٣. صحيح أبي داود – الأم، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ط:١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت،١٤٢٣ هـ -٢٠٠٢ م.

٣٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط:١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣٥. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط:٥، مكتبة المعارف-الرياض.

٣٦. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي.

٣٧. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨. طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت

٣٩. طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، دار المعارف.

٤٠. العين، للخليل الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.

٤١. عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٤٢. غرائب التفسير وعجائب التأويل، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، دار القبلة، جدة.

٤٣. الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة – الرياض.

٤٤. الفروق اللغوية للعسكري، تحقيق: الشيخ/ بيت الله بيات، ط:١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ.

٤٥. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق.

٤٦. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط:٨، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، ط:٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٤٨. الكليات في معجم المصطلحات، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة.

٤٩. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٥٠. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط:٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٥١. ليدبروا آياته، اعداد اللجنة العلمية، مركز تدبر للدراسات والاستشارات، ط:١، ١٤٣٦-٢٠١٥م.

٥٢. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ط:٣، دار التدمرية، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

٥٣. مجالس القرآن، فريد الأنصاري، دار السلام، ط:١٤٤٠،٦هـ-٢٠١٩م.

٥٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، -١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

٥٥. المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، دار الفكر.

٥٦. محاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٥٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: ١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٥٨. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م.

٥٩. مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط:٥، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

٦٠. المخصص، ابن سيدة، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط:١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦١. المدخل الى التفسير الموضوعي، ابراهيم الحميضي، دار ابن الجوزي، ط:٣، ١٤٤٢هـ-٢٠٢م.

٦٢. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١ — ١٩٩٠.

٦٣. مسند أحمد في المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م. سنن الدار قطني في السنن، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، ط:١، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٦٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط:١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٥. مسند الحميدي، أبو بكر الحميدي، تحقق: حسن سليم أسد الدَّارَانِيّ، ط:١، دار السقا، دمشق، ١٩٩٦.

٦٦. مسند الشهاب، أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي السلفي، ط:٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ - ١٩٨٦م.

٦٧. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط:١، مكتبة الرشد — الرياض،١٤٠٩هـ.

٦٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط:١، دار إحياء التراث العربي —بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٦٩. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسينين، دار الحرمين – القاهرة.

٧٠. معجم المفسرين، لعادل نويهض، ط: ٣، مؤسسة نويهض الثقافية، ١٤٠٩هـ.

٧١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٧٢. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط:١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٧٣. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبدا لسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة.

٧٤. موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من العلماء باشراف الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة،١٤٣١هـ٢٠١٠م.

٧٥. موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

٧٦. النكت والعيون، أبو الحسن البصري، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية –بيروت.

٧٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط:١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.

٧٨. وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ط: ١، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

المقدمة: ١

التمهيد: وفيه بيان أهمية اختيار لفظة السيما في القرآن الكريم، وأثر تتبع معاني هذه اللفظة على الفرد المسلم..... ٥

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة السيما ٦

معنى السيما لغةً: ٦

الفرق بين العلامة والأثر:..... ٩

الفرق بين العلامة والسمة: ٩

المعنى الاصطلاحي للسيما ١٠

تعريف مقترح: ١٠

ثانياً: ألفاظ السيما في الاستعمال القرآني ١٠

ثالثاً: مفهوم السيما في القرآن بحسب المخاطب ١١

المبحث الأول: الأساليب القرآنية في عرض مصطلح السيما ١٢

المطلب الأول: ورود مصطلح السيما في سياق المدح والثناء: ١٢

١-ورود السيما في وصف الملائكة:..... ١٢

٢-ورود السيما في وصف العاقل: ١٤

٣- ورود السيما في وصف غير العاقل:..... ١٩

المطلب -الثاني: مفهوم السيما في سياق الذم والإهانة:..... ٢٤

المطلب الثالث: ما ورد بمعنى السيما مع اختلاف الألفاظ:..... ٣٠

المبحث الثاني: دراسة مفهوم السيما سياق في المدح أوفي سياق الذم أسبابه وجزاؤه..... ٣٢

المطلب الأول: أسباب ورود لفظ السيما في سياق المدح أو في سياق الذم ٣٢

المطلب الثاني: الجزاء المذكور في ألفاظ السيما:..... ٣٥

أولاً: في المدح والثناء: ٣٥
ثانياً: في الذم والإهانة: ٣٦
المبحث الثالث: الآثار المترتبة على معنى السيما في مواضعه المختلفة ودلالاته الدنيوية والأخروية: .. ٣٨
الخاتمة: ٤٠
المراجع: ٤١
فهرس الموضوعات ٤٨